

وليد الخالدي\*

## عن ألبرت حوراني واللجنة الأنكلو أميركية لسنة 1946\*\*

تقدم هذه الرواية التاريخية الممزوجة بالذكريات الشخصية خلفية عن شهادة ألبرت حوراني أمام لجنة التحقيق الأنكلو أميركية (انظر الشهادة أدناه، ص 199)، وتركز على الأعوام العشرة تقريباً التي سبقت جلسات الاستماع أمام اللجنة في سنة 1946. ويسلط الكاتب الضوء، من خلال عرضه للأسباب التي أدت إلى تأليف اللجنة وإنشاء المكتب العربي (الذي كان حوراني يمثله)، على التفاعل المعقد بين الأبعاد المحلية والإقليمية والدولية: الفلسطينية (وتشمل الحاج أمين الحسيني وموسى العلمي وجمال الحسيني بالدرجة الأولى)، والإقليمية (تشمل بصورة خاصة نوري باشا السعيد، في العراق)، والدولية (وخصوصاً العملية التي بدأت بموجبها الولايات المتحدة تحل محل بريطانيا كناظم للأحداث في فلسطين ما بعد الحرب العالمية الثانية). وثمة شخصيات مساندة تضم جورج أنطونيوس، وأحمد حلمي باشا، وحسين فخري الخالدي، وتوفيق أبو الهدى، وأحمد الشقيري، ووصفي التل.

تصادف هذه السنة (2005) الذكرى التسعين لميلاد ألبرت حوراني في ديدزبري، جنوب مانشستر (إنكلترا) في 31 آذار/مارس 1915. وقد مضى اثنا عشر عاماً فعلاً على وفاته في أكسفورد في 17 كانون الثاني/يناير 1993.

التقيت ألبرت أول مرة في القدس سنة 1944 عندما كنت في التاسعة عشرة من عمري - أي أنه كان يكبرني بعشرة أعوام. وقد تم اللقاء بناء على طلبه. شعرت بالزهو لأنه طلب هذا اللقاء، إذ كان نبوغه حديث العرب والدوائر الإنكليزية - العربية في المدينة؛ وكان دائم التردد على القدس، على الرغم من أن مقره كان القاهرة. في ذلك الوقت كانت رحي الحرب دائرة، فاستدعي ألبرت إلى الخدمة العسكرية، باعتباره مواطناً بريطانياً. ونظراً إلى خلفيته، عُيّن مستشاراً مساعداً للشؤون العربية لوزير الدولة البريطاني المقيم بالقاهرة، والذي كان عضواً في الحكومة البريطانية ومسؤولاً أمام تشرشل مباشرة. وكان المسؤول المباشر عن ألبرت العميد الأسطوري إلتيد كلايتون، الذي يقال إن طوابير من القادة والسياسيين العرب كانت تشاهد خارج مكتبه في أيام الأسبوع (وليايه) كافة. وكان نظير ألبرت للشؤون اليهودية الجنوب الإفريقي أودري (لاحقاً أبا) إيبين.

كنت أعرف اثنين من إخوة ألبرت، جورج وسيسل، قبل أن ألتقيه. وأرجح أنهما ذكرا اسمي أمامه. التقيت سيسل مصادفة في مكتبة بباب إدريس في بيروت، بعيد استرداد لبنان من قوات فيشي. بدأنا حواراً عادياً، وأصبحنا صديقين منذ ذلك الوقت. وعرفت جورج بعد تعيينه محاضراً في الآداب الكلاسيكية في الكلية العربية بالقدس، وكان والدي مديراً لها. وعلى الرغم من أنني لم ألتحق بالكلية نفسها، فإن منزل المدير، حيث كنت لا أزال أقيم، كان خلفها. وفي إحدى المناسبات، عندما مرض جورج، توليت تدريس حصة اللاتينية عنه ليوم أو اثنين. ويرجع إتقاني اللاتينية (تبدد منذ مدة طويلة) إلى نظام التعليم الصارم الذي أنشأه و. ج. فارل. وكان فارل زميلاً في كلية يسوع بكمبردج في الدراسات الكلاسيكية، ومديراً للمعارف (أي التعليم الحكومي) في فلسطين. وقد أشرف على أدائي الامتحانات الجامعية في اللاتينية والتاريخ الإغريقي والروماني لنيل شهادة بكالوريوس في الآداب من جامعة لندن، إذ لم يكن السفر إلى المملكة المتحدة وارداً في أثناء الحرب.

تم لقائي مع ألبرت في كرم المفتي؛ وهو عبارة عن فيلا رائعة من الحجر مشرفة على البلدة القديمة، وكان الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس، بناها مقراً لإقامته. وقد شُيِّدَت في حديقة كبيرة على المنحدر الجنوبي للشيخ جراح، في الطريق إلى جبل سكوبس ومقبرة الحرب العالمية الأولى. ونظراً إلى الأوضاع السياسية والأمنية الطارئة، لم يقيم المفتي بهذا المنزل قط، وأجره (وباعه لاحقاً) لمستشاره المقرب إليه جورج أنطونيوس. وكان جورج توفي في سنة 1942، وشغلت المنزل أرملته كاتي (ابنة فارس نمر باشا، صاحب جريدة "المقطم" القاهرية، المولود في لبنان) وابنتهما الوحيدة ثريا (توتو). وكانت كاتي، وهي مضيئة حيوية، حاضرة البديهة وسخية، تعقد المجالس في كرم المفتي وتدعو إليها القادة الفلسطينيين والنخبة المثقفة والعسكريين والموظفين المدنيين البريطانيين الكبار وزوجاتهم للاختلاط والتعارف.

عندما أتيت للاجتماع بألبرت، وكان مقيماً كضيف في كرم المفتي، قادني حاجب نوبي إلى غرفة جلوس محاطة بالكتب ومفروشة بذوق فكتوري رفيع. مضت بضع دقائق قبل أن يدخل ألبرت، وكان محمر الوجه قليلاً، الأمر الذي أضفى عليه مسحة كهنوتية. لم أعد أذكر ما بحثنا فيه، سوى أننا عرضنا عدة موضوعات. وقد ترك في صوته المنخفض، ولطفه، ولهجته، وطريقته الواثقة، وتعليقاته الذكية الموزونة، أثراً دائماً. استمر الاجتماع أكثر من ساعة، واتفقنا على إدامة التواصل.

وسرعان ما انضم ألبرت إلى حلقة "مسكونية" صغيرة من الأصدقاء كانوا يلتقون بانتظام في القدس "بمقرها"، في فندق الملك داود. وكانت الحلقة تضم خطيبي في ذلك الوقت رشا سلام، وأنا، وولفغانغ هيلدسهaimer، وجوليان أسكويت (اللورد أكسفورد)، وأن باليريت، وأختي سلافة، وعفيف بولس، وجبرا إبراهيم جبرا، وجون شرينغهام وزوجته إيفيت (كانت أختها زوجة جورج حوراني)، وسالي (سلوى) كساب صديقة ولفغانغ، ولولي أبو الهدى؛ وكان جوليان وأن ولولي وألبرت أصدقاء منذ أيام الدراسة في أكسفورد. وكان بين أعضاء المجموعة الآخرين فريدي بلنكنسوب، وهو مسؤول كبير في الإدارة البريطانية اعتاد أن يوزع بانتظام في 2 تشرين الثاني/نوفمبر من كل سنة على زملائه البريطانيين دحضاً مفصلاً لإعلان بلفور في الذكرى السنوية لإصداره. وقد توفي فريدي تحت أنقاض جناح الإدارة البريطانية في فندق الملك داود عندما نسفته منظمة الإرغون بقيادة مناحم بيغن في تموز/يوليو 1946. وأذكر أمسية في شقة لولي حيث جلسنا كلنا على الأرض نستمع إلى ألبرت وهو يقرأ قصيدة ت. س. إليوت "الأرض القفر (Wasteland)" في ضوء الشموع. وفي تلك الفترة أعطاني ألبرت عدداً من المخطوطات التي كتبها عن السياسة القومية في سورية ولبنان وعن الطوائف المسيحية العربية، وقد ظهرت لاحقاً بصيغتها المطبوعة بعنوان: "سورية ولبنان: مقالة سياسية (1946) (Syria and Lebanon: A Political Essay)" و"الأقليات في العالم العربي (1947) (Minorities in the Arab World)".

\* \* \*

كنت أنوي أن تشكل هذه الذكريات مقدمة للشهادة التي ألقاها ألبرت، بصفته ممثلاً للمكتب العربي الذي أنشئ حديثاً، أمام لجنة التحقيق الأنكلو أميركية في القدس في آذار/مارس 1946. ولا تزال شهادته حتى اليوم بياناً قوي الحجج عن المعارضة العربية لإنشاء دولة يهودية في فلسطين، كما تكشف في الوقت نفسه عن قناعات ألبرت العميقة فيما يتعلق بقضية فلسطين. لكن سرعان ما طُرحت النيات الأصلية جانباً: ففي محاولة التمهيد لهذه الشهادة برواية قصة إنشاء المكتب العربي وتأليف اللجنة الأنكلو أميركية، تخطى حجم "المقدمة" الحدود المعقولة. لذا تقرر نشر هذه التأملات على حدة، بشكل مواز لشهادة ألبرت، من أجل تقديم شيء عن الإطار الذي جرت فيه، وعلى أمل تسليط بعض الضوء على التعقيدات السائدة في تلك الفترة.

## عشية تأليف اللجنة الأنكلو أميركية

كانت تلك أوقاتاً بالغة الأهمية. فعلى الصعيد العالمي، وضعت الحرب أوزارها قبل أربعة أشهر من تأليف اللجنة الأنكلو أميركية، وحلت حكومة كليمنت أتلي العمالية محل حكومة تشرشل، وأنشئت الأمم المتحدة، وتولى ترومان الرئاسة الأميركية بعد وفاة فرانكلين د. روزفلت. وعلى الصعيد الإقليمي، انتهى الحكم الفرنسي لسورية ولبنان، وأنشئت جامعة الدول العربية. وعلى الصعيد المحلي، كان الفلسطينيون من دون قائد؛ فالمفتي - الهارب من البريطانيين منذ سنة 1937 - لم يرجع من دول المحور حتى ظهوره المفاجئ في مصر في نيسان/أبريل 1946. وكان دافيد بن - غوريون، قائد اليبشوف بلا منازع، يُعدُّ بدأب، بالتنسيق مع المؤسسة اليهودية الأميركية، لإمكان وقوع الحرب ضد البريطانيين والعرب.

وعلى وجه التحديد، بدأ وزير الخارجية البريطاني الجديد، إرنست بيفن، وهو صهيوني سابق، ينظر إلى الشرق الأوسط بمنظار جديد عندما أصبح مسؤولاً عن السياسة الرسمية. وكانت مهمته وضع استراتيجية إقليمية بريطانية عملية لما بعد الحرب في مواجهة النفوذ السوفياتي والأميركي المتزايدين، وتصاعد الهجمات والأعمال الإرهابية الصهيونية، وفي الوقت نفسه محاولة مواجهة الطموحات العربية التي ارتفعت بإنشاء جامعة الدول العربية. وفي فلسطين، كان عليه التوصل إلى ما يجب عمله بالكتاب الأبيض لسنة 1939، وهو إعلان نوايا بريطاني أصدرته حكومة نيفيل تشمبرلين عن سياستها في فلسطين قبل أربعة أشهر من اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكان بن - غوريون مصمماً على دفنه. لقد كانت الهجرة اليهودية القضية الحاسمة في فلسطين منذ بداية الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر. وخلافاً للاعتقاد الذي لا يزال سائداً، لم تكن الـ 75.000 وثيقة هجرة التي أجازها الكتاب الأبيض قد استخدمت بأكملها عند نهاية الحرب (1) بسبب ظروف الحرب (إغلاق الحدود، واستحالة السفر بحراً أو انعدام أمنه، إلخ). لكن المشكلة كانت تكمن في مبدأ الهجرة: فقد نص الكتاب الأبيض على أن تكون الهجرة اليهودية الإضافية، بعد دخول الـ 75.000 مهاجر، متوقفة على "قبول" العرب "غير الراضي" بها (acquiescence)، ومن الواضح أن ذلك لم يكن منتظراً طبعاً.

في هذه الأثناء، كانت التوترات والخلافات العربية البينية شديدة ومستحكمة. وبصورة عامة، كان هناك ائتلافان يواجه أحدهما الآخر في جامعة الدول العربية: المملكتان الهاشميتان في العراق وشرق الأردن من جهة، يدعمهما دعاة الملكية وبعض القوميين العرب غير المنظمين تنظيمياً محكماً في سورية الكبرى. ومن جهة أخرى، هناك الأسترتان الملكيتان السعودية والمصرية، يدعمهما الجمهوريون ودولتا سورية ولبنان اللتان استقلتا حديثاً. وكان الفلسطينيون عالقين بين هذين الائتلافين.

كان ثمة تعقيدات عربية بينية أخرى أيضاً. فقد شجع القوميون العرب الفلسطينيون (ولا سيما أعضاء حزب الاستقلال) إنشاء الجامعة العربية عبر صلاتهم العراقية، لكنهم كانوا حذرين من ميول الهاشميين الموالية للبريطانيين (2). وكان التوتر بين الأمير عبد الله في شرق الأردن (أعلن ملكاً في أيار/مايو 1946) وبين الفلسطينيين المؤيدين للحاج أمين (المجلسيون - نسبة إلى أن الحاج أمين كان رئيساً للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، إلى جانب كونه مفتي القدس)، يتصاعد منذ أن أوصت اللجنة الملكية (لجنة بيل) في سنة 1937 بتقسيم فلسطين إلى دولتين، يهودية وفلسطينية، على أن تُضم الأخيرة إلى شرق الأردن. وفي الوقت نفسه، ازداد ميل الفلسطينيين المعارضين للحاج أمين إلى عبد الله أكثر فأكثر. وحل الحقد والضغينة بين الهاشميين العراقيين (وخصوصاً الوصي على العرش عبد الإله، والرجل العراقي القوي نوري باشا السعيد) وبين الحاج أمين بسبب الدور

الرئيسي الذي قام به الحاج أمين في انقلاب رشيد عالي الكيلاني الذي أطاح الملكية مؤقتاً في نيسان/أبريل 1941. ولم يعد الوضع في العراق إلى ما كان عليه إلا بعد التدخل العسكري البريطاني، الذي أدى بدوره إلى هرب الحاج أمين إلى إيران، ومن ثم إلى ألمانيا وإيطاليا في أثناء الحرب.

## موسى العلمي وخطة المكتب العربي

موسى العلمي هو سليل أسرة صوفية مقدسية قديمة، والابن الوحيد لفيضي العلمي، أحد رؤساء بلدية القدس تحت الحكم العثماني وأحد نواب القدس الثلاثة في البرلمان العثماني الأخير. جُند موسى في الجيش العثماني في تشرين الأول/أكتوبر 1914 كجندي، ونُقل إلى مكتب الرقيب في القدس لأنه كان يتقن الفرنسية والإنكليزية. (3) وكان أول فلسطيني يلتحق بجامعة كمبردج (Trinity Hall) ويقبل في معهد الحقوق (Inner Temple) وقد قُبل في هيئة المحاماة في سنة 1924. (4) وعُين عند عودته إلى فلسطين مساعداً لمحامي الحكومة (Junior Crown 5) (Counsel) ووكيلاً للنائب العام (Acting Solicitor General) لاحقاً. (6) وقد لفت انتباه المندوب السامي البريطاني السير آرثر واكهورب، فعينه سكرتيره الخاص للشؤون العربية. (7) شن الزعماء اليهود، الذين هالهم هذا التعيين، حملة شعواء ضده في لندن وواشنطن بحيث أُجبر واكهورب على إعادة موسى إلى الدائرة القانونية خلال عام. (8) مع ذلك، أدى موسى في أواسط الثلاثينيات دور الوسيط في المفاوضات العقيمة بين بن - غوريون والحاج أمين الحسيني؛ وهي المفاوضات التي قطعها الأخير. (9) وكان موسى أيضاً، بمشاركة جورج أنطونيوس، (10) هو الذي صاغ المذكرة الشهيرة التي وقعها الموظفون العرب الكبار كافة، وقدمت إلى المندوب السامي في سنة 1936. وقد بينت بتهذيب، لكن بحزم، ظلم السياسة البريطانية في فلسطين. (11) ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى انتقدت لجنة بيل، بتحريض من اليهود، مكتب النائب العام (أي موسى) على تسامحه في محاكمة الثوار العرب، وأوصت بتعيين بريطاني في ذلك المنصب. وفي سنة 1937 صُرف موسى بفضافة من منصبه، وطلب منه مغادرة البلد. (12)

مع ذلك سمحت بريطانيا لموسى بالانضمام إلى الوفد الفلسطيني إلى مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن سنة 1939؛ وهو المؤتمر الذي صدر عنه الكتاب الأبيض. وقام فعلاً بدور مهم في المحادثات مع وزير المستعمرات، مالكوم مكدونالد، بشأن تركيبة الوفد الفلسطيني. (13) فقد رفض البريطانيون بشدة السماح للحاج أمين الحسيني (الذي بقي منفياً طوال فترة الانتداب) بحضور المؤتمر، لكنهم سمحوا لجمال الحسيني، ابن عمه وصهر موسى، برئاسة الوفد. وكان جمال أيضاً رئيس الحزب العربي، أكبر الأحزاب السياسية في فلسطين والعمود الفقري للمجلسيين (بعد مضي عدة أعوام، اتفق أن جمال كان جاري في مصيف شمالان، في لبنان، وقد أخبرني قبيل وفاته في سنة 1982 أن موسى، الذي يعتبره عبقرياً، وجورج أنطونيوس، كانا الخبيرين الاستراتيجيين الرئيسيين في المؤتمر). وضمت وفود الدول العربية الأخرى التي حضرت مؤتمر الطاولة المستديرة نوري السعيد والأمير (الملك لاحقاً) فيصل من المملكة العربية السعودية. وكان نوري السعيد دائم التردد على فلسطين في الثلاثينيات من القرن الماضي، وأدى دوراً رئيسياً في التوسط بين الحاج أمين والبريطانيين في سنة 1936 لإنهاء الإضراب العام. ومن المؤكد تقريباً أنه عمل عن قرب مع موسى في هذا الشأن، وأن العلاقة بين الاثنين توثقت في مؤتمر لندن.

دامت الهدنة التي توسط نوري لإحلالها حتى صدور تقرير لجنة بيل في سنة 1937، عندما تفجرت المرحلة الثانية من الثورة احتجاجاً على توصيتها بتقسيم فلسطين. وأدى تفاقم الوضع إلى حظر اللجنة العربية العليا، التي أنشئت قبل ذلك بعامين بزعامه الحاج أمين، في السنة نفسها، فضلاً عن اعتقال أعضائها أو نفيهم. وكان الحاج أمين

هرب إلى لبنان، حيث لم يتسامح الفرنسيون مع وجوده فحسب، لإغاية البريطانيين، بل غضوا الطرف أيضاً عن إشرافه على الثورة المتواصلة في فلسطين. لكن عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، طلب الفرنسيون من الحاج أمين مغادرة البلد. كما طلب من موسى العلمي وجمال الحسيني، اللذين كانا لاجئين في لبنان، المغادرة في الوقت نفسه. لجأ الحاج أمين إلى العراق، حيث سرعان ما تحلقت حوله بطانة من المدنيين والقادة العسكريين المعجبين به. وانضم موسى وجمال إليه هناك.

في تموز/يوليو، أرسل اللورد لويد، وهو مستعرب شغل منصب وزير المستعمرات في حكومة تشرشل الأولى، مبعوثاً إلى بغداد، العقيد س. ف. نيوكومب، وهو مستعرب خدم سابقاً مع ت. إ. لورنس، لإقناع الحاج أمين بالموافقة على الكتاب الأبيض لسنة 1939 بغية خفض التوترات بين العرب والإنكليز في المنطقة – إذ كان الحاج أمين يتزعم رفضه. وكانت تعليمات نيوكومب تقضي بكسب موافقة نوري السعيد على المهمة التي فُوض فيها الاتصال بجمال الحسيني وموسى العلمي، لا بالحاج أمين بالذات. وقد عمل موسى وجمال، بالاشتراك مع نوري السعيد، على ضمان نجاح المهمة. ووفقاً لموسى العلمي، اقتنع الحاج أمين بقبول الكتاب الأبيض (على مضض) كجزء من صفقة أكبر. وشمل ذلك تعهد نوري السعيد للبريطانيين، بصفته رئيساً للحكومة، بوضع القوات المسلحة العراقية في تصرف بريطانيا في الحرب ضد المحور إذا تم التوصل إلى تسوية مؤقتة مع الحاج أمين. لم يأت رد واضح من بريطانيا على "اتفاق" نيوكومب – الحاج أمين في تلك الظروف، ويرجع ذلك إلى معارضة تشرشل على الأرجح. (14) ويحتمل أيضاً أن يكون نيوكومب تجاوز حدود صلاحياته. (15)

وسرعان ما اشترك الحاج أمين، بسبب رد لندن السلبي على مفاوضات بغداد على الأقل، مع رشيد عالي الكيلاني والمتواطئين العسكريين معه. وفي بداية نيسان/أبريل، اضطر الوصي على العرش عبد الإله إلى الهرب للنجاة بنفسه. (16) وعندما دخل البريطانيون ثانية العراق في الشهر التالي، هرب الحاج أمين وجمال إلى إيران حيث ألقى البريطانيون القبض على الأخير ونُفي إلى روديسيا الجنوبية؛ ولم يُسمح له بالعودة إلى فلسطين حتى شباط/فبراير 1946. وتابع المفتي مسيره إلى تركيا في الطريق إلى دول المحور. في هذه الأثناء، عاد موسى إلى لبنان، وحط الرحال في القدس في نهاية المطاف، حيث بقي فيها حتى نهاية الحرب.

فاقم سحق انقلاب رشيد عالي الكيلاني العداء العربي المتنامي لبريطانيا بشأن سياساتها في فلسطين. وفي كانون الثاني/يناير 1943 أعلن نوري السعيد، الذي عاد إلى رئاسة الحكومة ثانية، الحرب على المحور. (17) وفي محاولة لكسب المشاعر العربية القومية، أعلن وزير الخارجية البريطاني أنطوني إيدن، وهو من المستعربين، أمام البرلمان في الشهر التالي أن بريطانيا لن تعارض أي مسعى للوحدة بين الدول العربية إذا كان يحظى بـ "موافقة عامة". (18) وكان العراق بقيادة نوري السعيد أول من تلقف الإشارة، فأطلق المحادثات العربية البينية التي لقيت تجاوباً من مصطفى النحاس باشا، رئيس حكومة مصر الوفدي. وفي تشرين الأول/أكتوبر 1944 بدأ العمل للمؤتمر التمهيدي في الإسكندرية، بحضور وفود من العراق وشرق الأردن وسورية ولبنان ومصر والمملكة العربية السعودية واليمن. ونظراً إلى أن المشكلة الفلسطينية كانت الشغل الشاغل للعالم العربي، فقد برزت قضية التمثيل الفلسطيني في المؤتمر إلى الواجهة.

في هذه المرحلة بالتحديد، عاد موسى العلمي إلى الظهور على المسرح السياسي. فنظراً إلى أنه لم يكن منتمياً إلى أي من الأحزاب الفلسطينية الستة، وإلى قربته في الوقت نفسه من جمال الحسيني، اختاره ممثلو الأحزاب الفلسطينية الأخرى بالإجماع كموفد فلسطيني إلى مؤتمر الإسكندرية التمهيدي. وكان الزعيم الفلسطيني الذي سمى موسى العلمي لهذا المنصب عمي الدكتور حسين فخري الخالدي، مؤسس وأمين عام حزب الإصلاح وعضو اللجنة العربية

العليا. وكان انتُخب في سنة 1935 رئيساً لبلدية القدس (آخر انتخابات حرة يشارك فيها العرب واليهود على السواء) بعد أن تحالف آل الخالدي وآل الحسيني معاً لإقصاء راغب بك النشاشيبي، رئيس البلدية المعين من البريطانيين. وعندما حل البريطانيون اللجنة العربية العليا في سنة 1937، اعتُقل حسين فخري ونُفي مع آخرين، معظمهم من أعضاء اللجنة العربية العليا، إلى جزر سيليشل في المحيط الهندي. وقد أفرج عنه من المنفى لحضور مؤتمر لندن سنة 1939، حيث عمل عن قرب مع موسى العلمي وجمال الحسيني وجورج أنطونيوس، وسُمح له بالعودة إلى فلسطين في سنة 1943.

كان الإجماع على اختيار موسى العلمي ممثلاً للفلسطينيين أمراً ساراً لا يصدّق بالنسبة إلى نوري السعيد، الموفد العراقي إلى المؤتمر. فقد تفوّق موسى العلمي على نفسه في المؤتمر (19) وألقى خطبة عصماء انطوت على سرد للواقع وتشخيصه، ووصف للعلاج في آن واحد. أوضح أن بريطانيا تفكر في واحد من أربعة خيارات لفلسطين ما بعد الحرب: التقسيم إلى دولتين؛ التقسيم إلى كانتونات؛ إنشاء أغلبية عرقية يهودية؛ إنشاء تكافؤ عددي بين المجتمعين. وهذه الخيارات كلها تشكل تنصلاً من الكتاب الأبيض لسنة 1939، وهو تنصل ناجم عن اعتقاد بريطانيا أن "العرب جبنا وغير جديين في مواقفهم بشأن فلسطين، وأن لا خطر من استعدادهم". وتابع موسى بوصف المفاوضات في العراق مع العقيد نيوكومب في سنة 1940، وحض الدول العربية على الإصرار على تطبيق الكتاب الأبيض لسنة 1939، مشدداً على أن "اتفاق بغداد سنة 1940 ملزم" لبريطانيا. وقد أشار في أثناء عرضه بغموض إلى دور "طرف ثالث" (أي نوري السعيد)، لكنه أضاف باستحياء أنه لا يستطيع الإسهاب من دون تفويض، وعندئذ أعطاه نوري السعيد بحركة مسرحية الضوء الأخضر بالكشف عن تعهده لبريطانيا (20) وكان ذلك أكثر أحداث المؤتمر إثارة، وأبرز مدى التنسيق بين نوري السعيد وموسى العلمي.

أوضح موسى خطورة مسألة الأرض والقانون الحصري الذي تقوم عليه سياسة حيازة الأراضي الصهيونية (أي قوانين الصندوق القومي اليهودي (21)). وأوصى بإقامة "المشروع الإنشائي العربي" على الفور، برأس مال ابتدائي يبلغ 5 ملايين جنيه استرليني تساهم به الدول الأعضاء على مدى خمسة أعوام. على أن تذهب الأموال، كهبات أو قروض بفائدة متدنية، إلى المزارعين والقرويين الفلسطينيين لمساعدتهم في تطوير أراضيهم والحوّل دون انتقال ملكيتها إلى اليهود. كما أوصى بفتح مكاتب إعلامية على الفور في العواصم الغربية الكبرى لمجابهة الدعاية والتضليل الصهيونيين. وقد ترك موسى العلمي تأثيراً عميقاً لدى القادة العرب المجتمعين. فأقروا كل توصياته من حيث المبدأ، وأعادوا تأكيد مصادقتهم، عندما اجتمع مجلس جامعة الدول العربية في السنة التالية، بتخصيص 2 مليون جنيه استرليني للمكاتب (22) لكن نوري السعيد سعى، تحت غطاء هذه المصادقة، لتقديم الأموال من أجل تنفيذ فكرتي المشروع الإنشائي والمكاتب العربية اللتين طرحهما موسى العلمي من دون التنسيق مع الدول الأعضاء الأخرى. فرتب لتحويل 250.000 جنيه استرليني إلى موسى العلمي من أجل المشروع الإنشائي للعامين الأولين، ومبلغ لم يكشف عنه للمكاتب العربية (23) وجعل نوري السعيد موسى العلمي المسؤول الوحيد عن الإنفاق بصفته الشخصية (24).

لم يكن دافع نوري السعيد نقياً تماماً. لا شك في أن موسى العلمي كان متميزاً بكل المعايير، وقلة هم الفلسطينيون الذين يرقون إلى نسبه وعلمه وخبرته. فمن خلال زوجته (من آل الجابري في حلب)، كان على صلة بالعائلات السياسية النخبوية في سورية ولبنان (كانت زوجة رياض الصلح من آل الجابري أيضاً). لم يكن من دعاة الجمهورية، وكان يؤمن بالتعاون مع البريطانيين على الرغم من المعاملة الرديئة التي لقيها منهم. وفي سن الثامنة والأربعين، كان في أوج نشاطه البدني. وقد عرفه نوري السعيد وعمل معه منذ عقد من الزمن على الأقل. وكان من المغربي بالنسبة إلى نوري السعيد والوصي على العرش (والبريطانيين؟) اعتباره ثقلاً موازناً للحاج أمين

– عدوهم منذ انقلاب رشيد عالي الكيلاني. لكن تقويته، من خلال التمويل الشخصي الحصري لخطتي المشروع الإنشائي والمكاتب العربية، كانت أمراً مكشوفاً جداً. كان تصور موسى يقوم على فتح مكاتب عربية في القدس ولندن وواشنطن وباريس وموسكو. وبحكم طبيعة الأمور، كان على هذه المكاتب أن تتعامل، إلى جانب المشكلة الفلسطينية، مع مجموعة من القضايا التي تؤثر في العلاقات بين سائر الدول العربية وبين هذه العواصم. وعندما يستعيد المرء، بنظرة إلى الوراء، هذا الترتيب، تبدو لي مستغربة جداً موافقة موسى العلمي، بعقله القانوني المدرب وحنكته السياسية، على رعاية نوري السعيد الأحادية، بالنظر إلى المعارضة المتوقعة جداً لمثل هذا الترتيب، لا في أوساط الدول الأخرى الأعضاء في الجامعة فحسب، بل في أوساط القادة الفلسطينيين الآخرين أيضاً. ولعل مثالية موسى الساذجة هي من أسباب دفعه إلى ذلك. وإضافة إلى اعتداده بنفسه وقناعته بتفوقه على الجميع في العمل، إنما سهى عن باله أنه كان يتعامل مع دول غيورة على سيادتها، ومع زملاء فلسطينيين لهم خصائص ووجهات نظر مختلفة. وأذكر أنني سألت جمال الحسيني عن ذلك في شمالن، فابتسم وقال: "ظن نوري أن في وسعه التلاعب بموسى، لكن موسى هو الذي كان يتلاعب بنوري." وما زلت أستغرب هذا "التوضيح" إلى يومنا هذا.

### دخول الولايات المتحدة مسرح الأحداث: اللجنة الأنكلو أميركية

هنا جاء دور ألبرت حوراني. فقد سُرَّح ألبرت من الخدمة مع الحكومة البريطانية في نهاية الحرب، عندما كان موسى يستعد لتطبيق خطته للمكاتب العربية. وأراد موسى العلمي منه أن يرأس الأبحاث بمكتب القدس، الذي جعله المقر الرئيسي للمكاتب العربية. لم يكن مفاجئاً أن يفكر موسى العلمي في ألبرت حوراني. فقد تخرج ألبرت من أكسفورد سنة 1936 حائزاً مرتبة الشرف الأولى في السياسة والفلسفة والاقتصاد (PPE)، وعمل بعد ذلك محاضراً في الجامعة الأميركية في بيروت. ومن شبه المؤكد أن حضور موسى العلمي مؤتمر الإسكندرية التحضيري ومجلس الجامعة العربية لاحقاً جمع بين هاتين الشخصيتين لأن رئيس ألبرت، العميد كلايتون، شارك عن كُتُب في إطلاق جامعة الدول العربية تنفيذاً لسياسة إيدن. وربما التقيا قبل ذلك في أثناء مؤتمر لندن سنة 1939، إذ لو كان ألبرت عاد إلى إنكلترا قادماً من الجامعة الأميركية في بيروت خلال انعقاد المؤتمر، لكان من المؤكد أن يتوجه للقاء أنطونيوس، الذي كان معجباً به أيما إعجاب، وكان التقى موسى. وإنني أشعر بندم شديد على عدم سؤالهما عن مكان التقائهما أول مرة، حينما أتاحت لي الفرصة عشرات المرات. على أي حال، قبل ألبرت العمل، ولا غرو في ذلك. فقد كان صدى القضية الفلسطينية يتردد لدى العرب على العموم، وكان ألبرت نشأ في بيت عربي، إذ إن والديه من مرجعيون، وهي بلدة لبنانية على الحدود مع فلسطين. لم يكن والده فضلو (وهو تاجر قماش تعرّفت إليه لاحقاً) قومياً عربياً ناشطاً، لكنه كان يتحلى بالروح الوطنية العربية العامة. وقد التقى ألبرت لولي (وليّة) أبو الهدى (السورية الأصل، وحفيدة الشيخ أبي الهدى الصيادي الرفاعي المقرب من السلطان عبد الحميد العثماني)، وهي من المتحمسين للقضية الفلسطينية حماسية منقطعة النظير، في أكسفورد وشغف بها حقاً. واتصل ألبرت، كمحاضر في الجامعة الأميركية في بيروت، بجيل كامل من القوميين العرب والقوميين السوريين المتفانين من كل أنحاء الهلال الخصيب، ناهيك عن المفكر الأيديولوجي للقومية العربية العلمانية قسطنطين زريق، الذي كان أستاذاً مشاركاً للتاريخ هناك.

افتتح المكتب العربي في تشرين الأول/أكتوبر – تشرين الثاني/نوفمبر 1945. وفي ذلك الوقت، كان الموقف في فلسطين يتدهور بسرعة تحت ثقل الهجوم الصهيوني الكبير ضد بريطانيا، المرتكز على جبهتين: الضغط من خلال البيت الأبيض عبر شاغله الجديد، هاري ترومان، والإرهاب المتناغم معه في الميدان. وكان الهدف الفوري تمزيق الكتاب الأبيض لسنة 1939 من خلال الهجرة اليهودية الضخمة، القانونية وغير القانونية، تمهيداً للاندفاع

النهائي لإقامة دولة يهودية، باستغلال الهولوكوست إلى أقصى حد. فقد أشار بن - غوريون في وقت مبكر، من خلال مؤتمر بلنمور الذي عقد سنة 1942 في نيويورك، إلى أنه لتحقيق هذه الغاية يجب استبدال الحصان الأميركي بالحصان البريطاني. وبدا ترومان راغباً جداً في ذلك. (25)

لم يضع ترومان وقتاً كثيراً قبل أن يطلق طلقته الأولى في اتجاه فلسطين. ففي 24 تموز/يوليو، خلال أسبوعين من تسلمه مقاليد الرئاسة، أرسل رسالة في هذا الموضوع إلى تشرشل. لكن المحافظين كانوا خسروا الانتخابات البرلمانية التي أجريت في 6 تموز/يوليو 1945، وخلف كليمنت أتلي العمالي تشرشل في رئاسة الحكومة في 26 تموز/يوليو، فوجد رسالة ترومان في انتظاره على مكتبه يوم تسلمه منصبه. (26) وقد أشارت الجملة الثانية في الرسالة إلى "القيود الشديدة التي يفرضها الكتاب الأبيض الصادر في أيار/مايو 1939 على الهجرة اليهودية". وقال ترومان أنه يأمل من الحكومة البريطانية "أن تتمكن بسرعة من اتخاذ الخطوات لرفع القيود التي يفرضها الكتاب الأبيض على الهجرة اليهودية إلى فلسطين". وحث تشرشل على إطلاعه على "أفكاره بشأن تسوية القضية الفلسطينية"، بحيث يمكنهما البحث فيها "بعبارة ملموسة" في وقت لاحق، لكن "في تاريخ غير بعيد". وهكذا اتضح أن أيام السيطرة البريطانية على السياسة في فلسطين أذنت بالانتهاء.

رد أتلي بصورة مختصرة في 31 تموز/يوليو. فقال أنه "سيجري دراسة متأنية في وقت قريب" لمذكرة ترومان، وأنه واثق بأن ترومان يدرك أن ليس في وسعه تقديم "أي بيان عن السياسة حتى يتسنى له الوقت لدراسة هذا الموضوع".

في هذه الأثناء التقى الزعيمان في مؤتمر بوتسدام الذي افتتح في 17 تموز/يوليو واستمر حتى 2 آب/أغسطس 1945. هنا بحثت القوى الحليفة في نزع أسلحة ألمانيا، واحتلالها، ومحاكمات جرائم الحرب، والاستسلام غير المشروط لليابان. وفي بوتسدام، قام ترومان بإبلاغ ستالين امتلاك الولايات المتحدة "قنبلة قوية جداً"، من دون الإفصاح عن تفصيلاتها. لكنه أيضاً، وسط هذه الشواغل الضخمة، وجد الوقت لإبلاغ أتلي أن "الشعب الأميركي بأكمله [كذا] يؤمن بوجود عدم إغلاق باب الهجرة إلى فلسطين".

في 31 آب/أغسطس، أعاد ترومان الكرة، بعد أن كان أمر بخسف هيروشيما وناغازاكي في وقت سابق من الشهر. فكتب إلى أتلي يلفت انتباهه إلى تقرير أعده إيرل ج. هاريسون، عميد كلية الحقوق في جامعة بنسلفانيا، وكان أرسله في وقت سابق (بضغط من قادة اليهود الأميركيين) للتحقيق في أحوال اليهود اللاجئين في أوساط النازحين في أوروبا. وأوصى هاريسون بمنح اللاجئين اليهود 100.000 وثيقة هجرة إلى فلسطين. وبعد أن أشار ترومان إلى إقراره توصية هاريسون، شدد على أن "الحل الرئيسي يكمن، على ما يبدو، في النقل السريع لأكثر عدد ممكن من اليهود [كذا] غير القادرين على العودة إلى وطنهم، إلى فلسطين، إذا رغبوا في ذلك".

جاء رد أتلي في 16 أيلول/سبتمبر. وأشار فيه إلى أن عليهم في فلسطين "أن ينظروا إلى العرب أيضاً إلى جانب اليهود، وإلى وجود تعهدات جديدة قطعها سلفه [فرانكلين د. روزفلت] والسيد تشرشل، تقضي بالتشاور مع العرب.... قبل أن نتوصل إلى قرار نهائي". وأشار إلى أن اليهود لا يستخدمون وثائق الهجرة المتوفرة لهم، وإنما يصرون "على التنصل الكامل من الكتاب الأبيض، ومنح 100.000 وثيقة هجرة على الفور بصرف النظر عن تأثير ذلك في الوضع في الشرق الأوسط". ومع أن رئيس الحكومة أبدى تعاطفاً مع آراء السيد هاريسون، إلا أنه تابع بأن "اقتراح" الأخير "يثير عواقب بعيدة الأثر"، وأنه ينوي أن يخضع مسألة اللاجئين لـ "فحص عاجل" بغية صوغ "سياسة بعيدة المدى تحال على الأمم المتحدة".



لا يمكن إدراك دينامية العلاقات الأنكلو أميركية في ذلك الوقت من دون الرجوع إلى وضع الاقتصاد البريطاني المزري في أعقاب الحرب. فبين آب/أغسطس 1939 وحزيران/يونيو 1945، ارتفع الدين البريطاني إلى الدول الأخرى من 476 مليون جنيه استرليني إلى 3355 مليون جنيه. (27) وبفضل قانون الإعارة والتأجير (Lend Lease Act) الأميركي، الصادر في آذار/مارس 1941، والذي وفر لبريطانيا قرصاً عسكرياً بقيمة 7 مليارات دولار، (28) لم يثقل كاهل بريطانيا عبء مزيد من الدين الحربي للولايات المتحدة. (29) لكن في 21 آب/أغسطس 1945، عشية آخر مسعى قام به ترومان فيما يتعلق بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، أعلن الرئيس الأميركي بصورة مفاجئة الإنهاء الفوري لمفعول قانون الإعارة والتأجير. ووفقاً لآلان بولوك، المؤرخ البريطاني وكاتب سيرة إرنست بيغن، "سقط ذلك على الحكومة البريطانية مثل صاروخ (في 2 (V2) (من دون سابق إنذار"، في حين وصفه الاقتصادي البريطاني الشهير اللورد كينز بأنه "دنكر اقتصادية من دون أي مبالغة". (30) فقد كان اقتصاد بريطانيا سيئاً إلى درجة أنه لم يكن "في وسعها أن تأمل بمجرد شراء ما تحتاج إليه لمواصله إطعام شعبها وإيجاد عمل له إلا إذا قدمت لها الولايات المتحدة مساعدة ثانية بقرض يبلغ 1500 مليون جنيه استرليني على الأقل". (31) وكان السفير البريطاني في واشنطن قد حذر، في وقت مبكر يرجع إلى تشرين الأول/أكتوبر 1944، من أن "الحملة الصهيونية... يمكن أن تؤثر في نتيجة تسوية أمر الإعارة والتأجير والاقتراض بالدولار". (32) ومن المثير للاهتمام الإشارة إلى أنه قبل بضعة أشهر من اتخاذ القرار الأميركي بإنهاء مفعول قانون الإعارة والتأجير، في 27 كانون الثاني/يناير و2 شباط/فبراير 1945، طُرح على مجلس الشيوخ ومجلس النواب الأميركيين على التوالي قرار يدعو الولايات المتحدة "إلى اتخاذ التدابير الملائمة بغية فتح أبواب فلسطين أمام دخول اليهود بحرية إلى البلد، وأن تتاح لهم الفرصة التامة للاستيطان بحيث يعيد اليهود إنشاء فلسطين كاتحاد يهودي ديمقراطي في نهاية المطاف". لم تتم المصادقة على القرار، لكن من المهم الإشارة إلى أن صيغته تكرر حرفي للقرارات الصادرة عن مؤتمر بلتيمور اليهودي الأميركي في سنة 1942 كما وضعها بن - غوريون.

في 25 تشرين الأول/أكتوبر 1945، أرسل أتلي مذكرة موجزة إلى ترومان يشدد فيها على أن مشكلة فلسطين "ومساعدة يهود أوروبا ليستا أمراً واحداً بالضرورة". ومع ذلك بلغ الرئيس أنه سيرسل إليه اقتراحاً محدداً "قريباً جداً". وبعد ثلاثة أسابيع، كُشف النقاب عن الاقتراح. ففي 13 تشرين الثاني/نوفمبر 1945، أعلن وزير الخارجية البريطاني، إرنست بيغن، في مجلس العموم تأليف لجنة تحقيق أنكلو أميركية "يتم تناوب رئاستها بشكل دوري للبحث في مسألة يهود أوروبا، وللقيام بمراجعة أخرى لمشكلة فلسطين في ضوء البحث". (33) وبذلك حولت بريطانيا انتدابها إلى حكم ثنائي، تُمثّل الولايات المتحدة فيه الشريك الأكبر.

## السياسة الفلسطينية واللجنة الأنكلو أميركية

كما هو متوقع، أثار الترتيب الذي تم التوصل إليه بين نوري السعيد وموسى العلمي بشأن المكاتب العربية والمشروع الإنشائي مقاومة عربية متزايدة. ولفهم التبعات لا بد من النظر إليها في إطار السياسة الفلسطينية الداخلية. ففي نهاية الثورة الكبرى 1936 - 1939، اتضح حدوث تصدع عميق لا سابق له في المجتمع الفلسطيني. وترجع جذور ذلك إلى الانقسام الذي كان قائماً قبل الثورة إلى معسكرين: المجلسيين المؤيدين للحاج أمين الحسيني، والمعارضين له بقيادة راغب النشاشيبي. وقد أضافت الثورة إليه، ولا سيما في مرحلتها الثانية بعد صدور توصيات لجنة بيل بالتقسيم، بعداً دموياً. فقد قُتل عدد غير قليل من قادة المعارضة، الأمر الذي أثار موجات من الصدمة في كل أنحاء البلد، لأن المجتمع قائم على الولاءات العائلية والعشائرية. وكان القتلة، في الغالب، من الثوار المناضلين ضد البريطانيين بقيادة الحاج أمين الحسيني من منفاه في لبنان. وقد حمل المعارضون الحاج

أمين شخصياً المسؤولة المباشرة. ومما لا شك فيه أن الحاج أمين تغاضى عن تصفية المتعاونين والمخبرين والسماسة المشاركين في بيع الأراضي لليهود، وهو ما كان يحظى برضى السواد الأعظم من الرأي العام. أما مدى مشاركته في تصفية الخصوم السياسيين - لأنهم معارضون - فيبقى غامضاً حتى اليوم.

وعلى الرغم من انقسام البلد، فقد احتفظ الحاج أمين بمكانته كأبرز قائد فلسطيني حتى نهاية الانتداب، مثلما بقي الحزب العربي، بقيادة ابن عمه جمال، أكثر الأحزاب السياسية شعبية وتنظيماً. والحق يقال إن استمرار البريطانيين في نفي الحاج أمين وجمال الحسيني لم يؤدِّ إلا إلى تعزيز مكانتهما وجاذبيتهما. وقد كان موقف المجلسيين (بما في ذلك الحزب العربي) قوياً جداً بحيث فشلت كل محاولات إعادة التنظيم السياسي التي قام بها الآخرون في أثناء أعوام الحرب. بل إنه عندما كان قادة الأحزاب الأخرى - الاستقلال والإصلاح والدفاع والكتلة الوطنية ومؤتمر الشباب(34) (ولم يكن ينتمي إلى المعارضة منها سوى الدفاع) - يجتمعون لم يكن في وسعهم الغلبة في مواجهة المجلسيين. وأصر الآخرون كل الإصرار على أن أي تنظيم سياسي في غياب "زعيمي البلد" (الحاج أمين وجمال الحسيني) إنما هو عمل خيانة يقوي الأجندة البريطانية ضد الزعيمين الغائبين. وكان قادة الأحزاب الأخرى، بطبيعة الحال، يرفضون ذلك كل الرفض. وعند الرجوع إلى الوراء، نجد أن اختيار موسى العلمي بالإجماع ممثلاً للفلسطينيين في مؤتمر الإسكندرية يتم عن توافق سياسي غير معهود بين الزعماء الفلسطينيين. بيد أن شهر العسل بين موسى العلمي وزملائه لم يدم طويلاً.

في 22 آذار/مارس 1945، جرى توقيع ميثاق جامعة الدول العربية على أساس مباحثات مؤتمر الإسكندرية، وفي تشرين الثاني/نوفمبر أعلنت بريطانيا تأليف اللجنة الأنكلو أميركية. فحان الوقت ليجتمع الفلسطينيون معاً لكن حتى في هذا الوقت المتأخر، تطلب تحقيق ذلك تدخل جميل مردم بك، رئيس الحكومة السورية، بمبادرة نيابة عن جامعة الدول العربية. سافر جميل مردم بك إلى القدس، وأقنع القادة الفلسطينيين، بالترغيب والترهيب، بإنشاء "جبهة" موحدة على شكل هيئة عربية عليا جديدة للحلول محل اللجنة التي حلها البريطانيون في سنة 1937. وكانت صيغته تقضي بتأليف هيئة من اثني عشر عضواً: خمسة للحزب العربي، وواحد لكل من الأحزاب الخمسة: الدفاع (راغب النشاشيبي)، والإصلاح (حسين فخري الخالدي)، والكتلة الوطنية (عبد اللطيف صلاح)، ومؤتمر الشباب (يعقوب الغصين)، والاستقلال (عوني عبد الهادي)؛ ومستقلين: موسى العلمي وأحمد حلمي باشا. ولم يعين رئيس للهيئة احتراماً للزعيمين الغائبين، لكن الرئيس بالوكالة الذي اقترح تعيينه كان عضواً من الصف الثاني من عائلة الحسيني، الذي حظي بالأسبقية على زملائه الأعلى منه مقاماً في المجال السياسي. أما بالنسبة إلى التمثيل الفلسطيني في الاجتماع التالي لمجلس الجامعة العربية، فكان يتألف من العلمي والغصين وواحد من الحزب العربي(35) ولم يتمكن جميل مردم بك من انتزاع موافقة المجلسيين على الهيئة العربية العليا الجديدة إلا بتقديم مثل هذه التنازلات إليهم، لكنها جاءت بثمن: إحباط الآخرين واشمئزازهم.

على الرغم من تقلص مكانة موسى العلمي التمثيلية فإنه أسهب في مجلس الجامعة، الذي عُقد في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر 1945، في شرح مشروعيه الرئيسيين: المكاتب العربية، والمشروع الإنشائي. بيد أن دعوته إلى المشروع الإنشائي لم تقربه من أحمد حلمي باشا، زميله المستقل في الهيئة العربية العليا، وهو الذي كان له الفضل في إطلاق مشروع مماثل منذ سنة 1932 لم يلق كبير نجاح(36) ومما زاد الطين بلة أن الباشا كان انفصل عن عبد الحميد شومان، صهره وشريكه السابق في البنك العربي، وأنشأ بنكاً منافساً، هو بنك الأمة. وهكذا انحازت المؤسستان الماليتان الفلسطينيتان الرئيسيتان، البنك العربي وبنك الأمة، إلى مجموعتين سياسيتين متنافستين: الأولى المجلسيون (بما في ذلك الحزب العربي)، والثانية قادة الأحزاب الأخرى (الإصلاح، والاستقلال، والكتلة الوطنية، ومؤتمر الشباب)، بالإضافة إلى المعارضين (بما في ذلك حزب الدفاع برئاسة النشاشيبي). وأدى ذلك إلى

تعميق الاستقطاب داخل المعسكر الفلسطيني. وفي هذا المشهد السياسي، اعتُبر موسى العلمي متماهياً مع المجلسيين والحزب العربي، في حين اعتُبر المستقل الآخر، أحمد حلمي باشا، متماهياً مع المعارضين. وفي الوقت نفسه، حظي موقف موسى العلمي في الجامعة العربية بالدعم الكامل من الهاشميين في العراق وشرق الأردن، لكن نُظر إليه بعين الريبة من جانب غير الهاشميين والأمين العام للجامعة عبد الرحمن عزام باشا. وكانت النتيجة رفض أعضاء الجامعة العربية تلبية التزاماتهم المالية فيما يتعلق بمشروع موسى العلمي (37). واضطر موسى إلى التخلي عن مكتبه في موسكو وباريس (38) (وكان رئيس مكتب باريس قبل إقفاله شارل الحلو، الذي أصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية فيما بعد).

صار المشروع الإنشائي والمكاتب العربية موضوعاً رئيسياً للنزاع في الهيئة العربية العليا التي أعاد جميل مردم بك إنشائها. فقد رأى قادة الأحزاب المنافسة للمجلسيين، ولديهم وجه حق في ذلك، أن مشاريع بهذه الأهمية يجب أن تخضع للإشراف الجماعي للهيئة، في حين أصر موسى العلمي على أن العراق انتمنه عليها شخصياً. وكان أكثر منتقدي موسى العلمي صراحة حسين فخري الخالدي، حليفه الرئيسي حتى عهد قريب. فقد حذر حسين فخري ببصيرة نافذة، فور إعلان بيفن إنشاء اللجنة الأنكلو أميركية، من النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة، ومن تقليص مسؤوليات بريطانيا بموجب الكتاب الأبيض، من خلال شراكتها مع الولايات المتحدة (39). ودعا إلى مقاطعتها. وفي مقالات نشرها في جريدة "فلسطين" انتقد موسى العلمي، وأعلن أن موسى مسؤول أمام الأحزاب التي اختارته ممثلاً لها في الجامعة العربية. ومع أن موسى زعم أنه يقوم بإطلاع الأحزاب على تطور المشروع الإنشائي والمكاتب العربية، فقد اتهمه الخالدي بأنه لا يفعل شيئاً من هذا القبيل. وأضاف أن خطة المشروع الإنشائي غير سليمة في تفصيلاتها وتستند إلى دراسة وإحصاءات غير كافية، وأن فروع المكتب العربي في العواصم الغربية ستتعامل مع قضايا السياسة العليا ويجب ألا تدار من دون إشراف وطني ملائم. وما إلى هنالك. (40) وزاد ضغطاً على إبالة أن موسى العلمي، على الرغم من جاذبيته عندما يريد ذلك، كان متكتماً، منعزلاً، متكبراً، نزقاً، سريع الاستياء، ميالاً إلى الاكتئاب. وفي المقابل، لم تكن الأسس الذي ذكرها الخالدي لمعارضة العلمي هي العامل الوحيد في اتخاذ هذا الموقف منه. فمن الواضح أنه غضب من توقف موسى عن استشارته أو إبلاغه تفصيلات ما يقوم به فيما يتعلق بالمشروع الإنشائي والمكاتب، ولعله حسد موسى على تنامي قوته ونفوذه المفاجئ عبر العراق.

وفي أوائل شباط/فبراير 1946، أفرج البريطانيون عن جمال الحسيني من المعتقل وسمحوا له بالعودة إلى فلسطين. لم يكن التوقيت عرَضياً. فقد شكّلت اللجنة الأنكلو أميركية وعقدت أول اجتماعاتها في واشنطن العاصمة (4 - 18 كانون الثاني/يناير) ولندن (25 كانون الثاني/يناير - 4 شباط/فبراير)، وانقسمت إلى لجان فرعية في أوروبا (5 - 27 شباط/فبراير). وكان من المزمع أن تسافر إلى القاهرة في 28 شباط/فبراير لعقد اجتماعات مع الجامعة العربية، وأن تصل إلى القدس في 6 آذار/مارس. وقد لقيت دعوة حسين فخري الخالدي إلى مقاطعتها صدى كبيراً.

لكن موسى العلمي كان يؤمن، بقوة، بالضرورة المطلقة لتقديم عرض قوي للحجة الفلسطينية أمام اللجنة. وكان لا يفارقه أبداً الأداء السيئ للفلسطينيين أمام لجنة بيل في سنة 1937، عندما لم تقرر اللجنة العربية العليا الممثل حتى اللحظة الأخيرة، وكان استعدادها رديئاً جداً حينئذ. وقد عقد موسى العزم على تجنب تكرار ذلك الأداء، وطلب من ألبرت بدء العمل على الشهادة الفلسطينية. لقي العلمي دعم بعض قادة الأحزاب في هذه القضية: النشاطيين (الدفاع)، وعبد الهادي (الاستقلال). (41) لكنه كان بحاجة إلى قرار من الهيئة العربية العليا بأكملها في شأن مبدأ الممثل أمام اللجنة الأنكلو أميركية. وكانت الهيئة العربية العليا شديدة التصدع، وبالتالي عاجزة عن اتخاذ هذا

القرار. وفي هذا السباق مع الزمن، جاء إطلاق البريطانيين جمال الحسيني، المعجب بموسى العلمي، وصهره وجاره (كانا يعيشان في طبقتين منفصلتين في مبنى من طبقتين بناه والد موسى قرب مجمع نوتردام في القدس) في الوقت الملائم.

في هذه الأثناء، لقي جمال الحسيني، الذي دخل فلسطين من لبنان عبر الطريق الساحلي، استقبال الأبطال في كل قرية وبلدة إلى أن وصل إلى القدس. وكان عشرات الآلاف الذين خرجوا للترحيب به يعبرون بذلك عن تقديرهم للشخص الذي اعتقدوا أنه يمثله: الحاج أمين الحسيني، الذي كان لا يزال في المنفى. وقد افترض جمال أن الهتاف والتصفيق كانا موجّهين إليه شخصياً، ويمكن فهم ذلك؛ فهو لم يكن معروفاً بالبتة بتواضعه، وأسكرته نشوة الغرور.

عشية وصول اللجنة الأنكلو أميركية إلى القدس، اجتمعت الهيئة العربية العليا، بحضور جمال الحسيني، في جلسة استثنائية للبحث في المثل أمامها أو عدمه. لم يعاود حسين فخري الخالدي، لسبب غير مفهوم، تأكيد معارضته للممثل أمام اللجنة، لكن أحمد حلمي باشا جهر بمعارضته (نكاية بموسى العلمي؟). مع ذلك اتخذت الهيئة العربية العليا قراراً لمصلحة الشهادة أمام اللجنة.(42)

كانت مهمة جمال الحسيني الثانية إعادة تشكيل الهيئة العربية العليا. وقد نفذ ذلك بغطرسة متميزة مستنداً إلى الاعتقاد أنه حصل على تفويض غير مشروط بالتأييد الشعبي. وفي 25 آذار/مارس، أعلن تشكيل هيئة عربية عليا برئاسته. وقد احتفظت الهيئة الجديدة بأعضاء الحزب العربي الخمسة كما كان الأمر عليه في هيئة جميل مردم بك، بالإضافة إلى سبعة "مستقلين" من أصدقاء الحزب اختارهم جمال اختيار اليد. وكان مبرر جمال أن الهيئة السابقة منقسمة ومشلولة، وغير قادرة على العمل عند الحاجة الماسة إلى ذلك. وهو أمر صحيح إلى حد ما. لكن ما يجوز التشكيك فيه جزمه أن الحزب العربي يحظى بتأييد 99% من الفلسطينيين، على الرغم من أنه كان من التواضع بحيث كان مستعداً للإقرار بأن النسبة يمكن أن تتدنى إلى 95%.(43) وسرعان ما شكل قادة الأحزاب الأخرى "الجبهة العربية العليا" المضادة. وضمت كل الأعضاء الذين استبعدوا من الهيئة التي جرى حلها - أحمد حلمي باشا وزعماء الأحزاب الخمسة: عبد الهادي (الاستقلال)، والخالدي (الإصلاح)، وصلاح (الكتلة الوطنية)، والغصين (مؤتمر الشباب)، والنشاشيبي (الدفاع) - بالإضافة إلى سليمان بك طوقان، زعيم المعارضين في نابلس. أما بالنسبة إلى موسى العلمي، فإنه اتخذ قراراً حازقاً بالاستقالة من الهيئة العربية قبل أن يعيد تشكيلها جمال الحسيني، الذي قدم له على أي حال تغطية تامة الآن ووافق بقوة على إدارته الأحادية للمشروعين بموجب الاتفاق مع العراق.

في هذه الأثناء، وصلت اللجنة الأنكلو أميركية إلى فلسطين في 6 آذار/مارس 1946. وبعد ذلك بيومين، في 8 آذار/مارس، دعا موسى العلمي، مستنداً إلى قرار الهيئة العربية العليا بقبول مبدأ المثل أمام اللجنة، إلى اجتماع "عام" للاتفاق على تنسيق الشهادات العربية في الظاهر، لكنه كان نشاطاً للعلاقات العامة بشكل أساسي. فقد وصل موسى العلمي مع حاشية تضم ثلاثة من أعضاء الحزب العربي في الهيئة العربية العليا، وألبرت حوراني، وأحمد الشقيري، وكان في ذلك الوقت محامياً صاعداً طموحاً جداً عيّن مديراً للمكتب العربي في القدس (كما عينه جمال الحسيني أيضاً في الهيئة العربية العليا التي أعاد تشكيلها). وكان هناك أيضاً مجموعة من الشخصيات العامة الفلسطينية، بمن فيهم رئيس بلدية يافا، ورئيس أساقفة فلسطين للطائفة الكاثوليكية، ووالدي أحمد سامح الخالدي.(44) وكان من أبرز الحاضرين من غير العرب الفلسطينيين قناصل تركيا ومصر وسورية ولبنان والعراق.(45)

عقدت اللجنة اجتماعاتها في القدس في مبنى جمعية الشبان المسيحيين الأميركية في غرفة متوسطة الحجم، ربما تتسع لمئة شخص. وكان حضور الجمهور مقيداً جداً. كان القادة الصهيونيون الذين مثلوا أمام اللجنة بكامل أعضائها: حاييم وايزمن، ودافيد بن - غوريون، وموشيه شرتوك (شاريت فيما بعد)، وغولدا مئير، ويهودا ماغنيس، والحاخامين الأكبرين. وكان الفلسطينيون الذين مثلوا أمام اللجنة بكامل أعضائها أربعة: جمال الحسيني وعوني عبد الهادي، ممثلين لـ "الهيئة العربية العليا" و"الجبهة العربية العليا" على التوالي، وأحمد الشقيري وألبرت حوراني ممثلين للمكتب العربي. وكان ألبرت آخر العرب الذين مثلوا أمام اللجنة.

كانت اللجنة الأنكلو أميركية مكونة من اثني عشر عضواً، ستة أميركيين وستة بريطانيين. مثل المملكة المتحدة كل من: القاضي جون إ. سنغلتون (الرئيس المشارك)؛ الرائد ريجينالد ماننغهام - بولر، وهو عضو في البرلمان عن المحافظين؛ و. ف. كريغ، مستشار ميدلاند بنك؛ ر. ه. س. كروسمان، عضو في البرلمان عن العمال؛ السير فريدريك لغيت، نائب وزير في وزارة العمل؛ اللورد موريسون، عضو في مجلس اللوردات عن العمال. وممثل الولايات المتحدة كل من: القاضي جوزف ك. هتشنسون (الرئيس المشارك)؛ الدكتور فرانك آيدلوت، مدير معهد برنستون للدراسات المتقدمة؛ فرانك و. بوكستون، محرر صحيفة "بوسطن هيرالد"؛ بارتلي ك. كروم، محام من سان فرانسيسكو؛ ج. ج. مكدونالد، المفوض السامي للاجئين في عصبة الأمم؛ ويليام فيليبس، دبلوماسي. (46) وكان يساند هؤلاء هيئة مكونة من اثنين وعشرين باحثاً مساعداً وسكرتيراً، جرى اختيارهم بالتساوي بين البلدين. (47) وأقل ما يقال في اللجنة إن خمسة من أعضائها على الأقل - كروم ومكدونالد وبوكستون وكروسمان وموريسون - لديهم ميول صهيونية تتفاوت أعماقها. وقد اقترح كروم من جانب ديفيد نايلز، وهو صهيوني عميق ومساعد لشؤون الأقليات في البيت الأبيض. وكان مكدونالد "صديقاً جيداً" للقائد الصهيوني الحاخام ستيفن وايز. وقد اقترح بوكستون على وزير الخارجية جيمس بيرنز من جانب فيلكس فرانكفورت، القاضي المشارك والصهيوني الرائد في المحكمة العليا. (48)

بقيت اللجنة الأنكلو أميركية في فلسطين حتى 28 آذار/مارس 1945. وفي تلك الفترة، زار عدد من أعضائها دمشق وبيروت وبغداد والرياض وعمّان. وقد توجهت إلى لوزان في سويسرا لكتابة تقريرها الذي وقّع في 20 نيسان/أبريل.

كان بيفن قد وعد بتبني التقرير إذا صدر بالإجماع. في البداية تمسك كروم ومكدونالد وكروسمان بالتقسيم، وضغطوا من أجل القبول الفوري بإدخال 100.000 يهودي إلى فلسطين. وحيداً آخرون توصية بالأل تكون فلسطين دولة يهودية أو عربية في انتظار وضع البلد تحت وصاية الأمم المتحدة. وربط سنغلتون بقوة التوصية بمنح 100.000 وثيقة هجرة بحل الهاغاناه. وتطور المآزق إلى مفاوضات لإجراء صفقات "بازارية" بعد وصول برقية من ترومان (صاغها نايلز) إلى هتشنسون تحثه على العمل على صدور تقرير "عن اللجنة بالإجماع" يوصي بـ "برنامج إيجابي لتفريغ المعاناة والبؤس الكبيرين" لليهود في أوروبا. وهكذا في مقابل عدم توصية اللجنة بدولة عربية أو يهودية، وبتوجيه "انتقاد شديد" إلى الهاغاناه (بدل حلها)، وافق البريطانيون على منح 100.000 وثيقة للهجرة. (49) وكان الفائز ترومان وبن - غوريون. وألقي الكتاب الأبيض في سلة المهملات.

### عملي في المكتب العربي بالقدس، 1945 - 1946

ثمة حاشية لكل ما تقدم هي انضمامي إلى المكتب العربي في ذلك الوقت. ففي أوائل خريف سنة 1945، في ذروة صدام موسى العلمي مع عمي حسين فخري الخالدي، دعاني موسى إلى بيته. كنت قد أتممت عامي العشرين

وتزوجت، بعد أن حصلت على شهادة البكالوريوس من جامعة لندن في السنة السالفة. وكنت أعمل حتى ذلك الوقت مدرساً للتاريخ في ثانوية "الأمة" في البقعة الفوقا، من ضواحي القدس، براتب قدره سبعة عشر جنيهاً في الشهر، وكان يديرها المربي المهيب شكري الحرامي.

استقبلني موسى في بيته الجميل، حيث صافحت زوجته الرشيقه سعدية. كان موسى مثيراً للإعجاب، وبيعت على الثقة بأسلوبه الدمث وعينه الواسعتين الحزینتين. وقد شدد على أهمية تقديم عرض مقنع وجيد التوثيق لقضية فلسطين أمام الغرب. وكان يريد أن يبدأ بإنشاء مكتب هنا في القدس، والاستفادة من الشبان العرب المتعلمين. الشقيري سيصبح مديراً للمكتب، وألبرت مسؤولاً عن الأبحاث والتوثيق، وسيكون الأخير مسؤولاً عني ويطلعني على مسؤولياتي. كان بحاجة إلى المساعدة لأننا كنا سنبدأ من الصفر. فعلياً إيجاد مكتب وإنشاء مكتبة وسجل محفوظات، وإقامة الصلات بممثلي وسائل الإعلام الغربية. فهل أنا راغب في الخدمة؟ تأثرت كثيراً وشعرت بالزهو، وشكرته على التفكير في. قلت إنني بحاجة إلى قليل من الوقت للتفكير في الأمور. وقد تفهم ذلك، وأمل أن يسمع جوابي عما قريب.

كنت أحمز كثيراً قبول العرض لأنني كنت أؤمن فعلاً بمهمة المكتب العربي، ومعجباً جداً بألبرت. لكنني في الوقت نفسه كنت أدرك تماماً أن موسى، الذي كانت المواجهة بينه وبين حسين فخري الخالدي محتدمة، ربما يعتبر عملي معه بمثابة فوز له إلى حد ما، ولا سيما أن والدي كان قريباً من عمي حسين. لذلك شعرت بأن علي الرجوع إلى عائلتي، شكلياً على الأقل.

كانت زوجتي رشا مؤيدة للفكرة تماماً. واستمع والدي إلى روايتي عن الاجتماع بموسى العلمي وقال إن القرار يعود إلي. اتصلت بعد ذلك بحسين فخري في مكتبه. كانت علاقتنا ودية بشكل غير عادي. وفي أثناء نفيه إلى ماهي، في جزر سيشل (1937 - 1938)، كنا نتواصل عبر الرسائل. وكنت أعمل على تزويده - بصورة منتظمة - روايات بالإنكليزية عن رعاة البقر، وهي الروايات التي يفضل قراءتها، وكنت أشتريها من مكتبة بولس سعيد (كان يمتلكها عم إدوارد) قرب باب الخليل بدعم مالي من والدي. وأذكر بطاقة بريدية أرسلها إليّ حسين فخري، وفيها يفيد عن نظامه الغذائي اليومي الذي لا يتغير: الموز - نضراً والموز مطبوخاً والموز مخبوزاً والموز مقلباً. عندما ذهبت لمقابلته، شرح لي اعتراضاته على طريقة موسى في إدارة المكتب العربي. لم يقتنع بأن انضمامي فكرة جيدة جداً، لكنه لم يعترض على ذلك بشكل محدد. وفي اليوم التالي اتصلت بموسى وقلت له إنني أقبل العمل.

طلب مني على الفور المساعدة في إيجاد مبنى ملائم للإيجار. وتم العثور على فيلا متوسطة الحجم بطبقتين مبنية بالحجر وذات حديقة صغيرة. كانت تقع في حي دير أبو ثور على الجانب الأيسر من الطريق العام إلى بيت لحم، على بعد نحو 300 ياردة جنوبي محطة سكة الحديد عند المفترق حيث تفضي طريق فرعية إلى قصر المندوب السامي على تلة Evil Counsel، وتمر في جوار دير أبو طور، وتكنة تلافيرا أو أألنبي (الموقع الذي اختير لاحقاً للسفارة الأميركية في إسرائيل)، وملعب الغولف، والكلية العربية على جبل المكبر، ومدرسة بن - تسفي الزراعية للبنات المجاورة (وكانت الطالبات فيها يرتدين سراويل ذات لون أزرق وفي غاية القصر). وكنت قد تنقلت في العقد السالف على تلك الطريق عدداً لا يحصى من المرات زهاباً وإياباً مشياً على القدمين، وبالدراجة الهوائية، وفي حافلة المدرسة، وفي سيارة أجرة، وفي سيارة خصوصية، وعلى دراجة نارية (خلف السائق) وفي عربة جانبية على السواء.

قيل لنا إن المكتب العربي سيشغل الطبقة الأرضية من الفيلا، وسيشغل المشروع الإنشائي ومكتب موسى بك الطبقة العليا. وكان مكتب الشقيري، بكرشه الواعد وأسلوبه الشيثرون في التحدث بالعربية، في تلك الطبقة أيضاً. وفي

مرحلة مبكرة، ظهر في المكان رجل خليلي الأصل، نحيل أشقر ذو وجه مجدر، مهذب هادئ نشيط، منخفض الصوت، ليشغل منصب سكرتير المكتب. كان ذلك روجي الخطيب، لاحقاً آخر رئيس لبلدية القدس الشرقية، وقد طرد من منصبه بفظاظة في حزيران/يونيو 1967 بأمر عسكري إسرائيلي مكتوب على منديل ورقي. (50) وبالإضافة إلى الشقيري وألبرت وروحي وأنا، ضم المكتب العربي موظفين آخرين يعملون بدوام كامل هم ناصر الدين النشاشيبي (نصري اختصاراً)، وبرهان الدجاني، ووديع الطرزي، وعبد الحميد ياسين. أمّا نصري، فكان شاباً ظريفاً طلق اللسان وفيما بعد صحافياً عربياً ذا صيت واسع، وكان برهان قصير القامة، حاد الذكاء، بالغ الثقة بالنفس، وكان قد تخرج للتو في الاقتصاد من الجامعة الأميركية في بيروت، وكان كلاهما يكبرني سنّاً بقليل، أمّا الآخران فكانا يكبرانني بأكثر من الأخيرين. كان الطرزي مدير مدرسة ثانوية أورثوذكسياً طويلاً ودمثاً من غزة، وياسين موظفاً في بلدية يافا، مزهواً بنفسه إلى حد ما. كنت أنا وبرهان مساعدين لألبرت في الواقع. ولم أعرف قط ماذا كان يفعل ياسين والطرزي، لكن نصري كان يعدّ موجزاً يومياً للصحافة العربية ويرسله إلى موسى العلمي وأحمد الشقيري وغيرهما. وكان روجي يدفع راتبنا ومصاريفنا الشهرية نقداً. وأذكر أن راتبني كان 40 جنيهاً.

أطلعنا ألبرت، أنا وبرهان، على مشروع شهادة المكتب أمام اللجنة الأنكلو أميركية. وكانت تنقسم ثلاثة أقسام: الأول عرض عام مطول (نحو 100 صفحة فولسكاب) لمشكلة فلسطين، بما في ذلك نقد للحلول التي قدمها البريطانيون والصهيونيون أو يفكرون فيها، بالإضافة إلى عرض للحل العربي ومبرره المنطقي. وكان موسى العلمي سيكتب النص (أي ألبرت بإشراف موسى ومراجعته). (51) ويتألف القسم الثاني من نحو ثلاثين ملحقاً (يشتمل كل منها على 2000 - 3000 كلمة) تفصل جوانب معينة من المشكلة الفلسطينية يحددها ألبرت. وسينجز بعضها برهان وبعضها أنا، وينجز البقية اختصاصيون من الخارج (منهم يوسف صايغ وتشارلز عيساوي، وكلاهما يكتبان في الموضوعات الاقتصادية). وسيقوم موسى وألبرت بمراجعة الملاحق كافة. (52) وسيكون القسم الثالث الشهادة الشفهية التي سيقدمها المتحدث باسم المكتب على أن يتم اختياره لاحقاً. وإلى جانب كتابة الملاحق التي كُلفت القيام بها، كان عليّ أن أنشئ مكتبة المكتب (وهو ما قمت به ناقلاً إلى المكتب بسيارة أجرة عدة شحنات من الكتب الإنكليزية التي اشتريتها من مكتبات يهودية)، والتحدث إلى ممثلي وكالات الأنباء الغربية (وهو ما كان ينسجم تماماً مع ترددي على بار فندق الملك داود).

كان الوصول إلى الطبقة العلوية، حيث يوجد مكتب الشقيري أيضاً، يمر عبر ردهة طبقتنا. وقد مكّنتنا ذلك من "رصد" كل القادمين والخارجين عن كُتب. كان موسى العلمي يأتي إلى مكتبه يومياً في أثناء وجوده في البلد، وكان في مناسبات كثيرة يغلق باب مكتبه ويمضي ساعات مع ألبرت. وكان موسى يستقبل سيلاً من الزوار. وأذكر بصورة خاصة زيارات شخص نحيل محني الظهر هو سامي طه، الزعيم العمالي في حيفا، الذي اغتيل في السنة التالية على يد أنصار الحاج أمين كما زعم.

أثار اثنان من المقيمين الجدد بمينانا فضولي بشكل خاص. أحدهما رجل في الخمسينيات من العمر، ذو وجه طويل صارم الملامح، يضع نظارات طبية ويعتمر الطربوش بصورة دائمة، الأمر الذي زاد في طول وجهه. كان ذلك الرجل توفيق باشا أبو الهدى (لا يمت إلى لولي بصللة قرابة)، وهو رئيس حكومة سابق في شرق الأردن عينه موسى العلمي مديراً للمشروع الإنشائي. وقد عين توفيق باشا ثانية رئيساً لحكومة الأردن خلال حرب 1948، وانتحر فيما بعد. وكان الوافد الجديد الآخر شاباً وسيماً أسمر قصير الشعر في منتصف العشرينيات من العمر، منتصب القامة، يرتدي بدلة ضابط في الجيش البريطاني برتبة نقيب. كان ذلك وصفي التل، الذي تطوع في الجيش البريطاني، ولم يسرّح من الخدمة بعد. وقد تسلم وصفي لاحقاً رئاسة الحكومة في الأردن عدة مرات، أشهرها خلال أيلول/سبتمبر 1970. وكان يبدو أنه يعمل مرافقاً لموسى، إذ كان يحمل حقيبته ويفتح باب السيارة له. وغالباً ما كان يأتي إلى طبقتنا

ليمتعنا بمآثره العسكرية وغيرها. وكان بعض تلك المآثر غريباً جداً بحيث أكسبه لقب البارون مونشهاوزن. لكن البارون كَفَّرَ عن ذلك. فقد كنا منهمكين في إنجاز الشهادة المكتوبة وملاحقها، التي أصبحت مخطوطة يبلغ سمكها خمسة إنشات، إلى حد أنه لم يتنبه أحد إلى أمر طباعتها وتوزيعها. لم تكن طباعتها في الخارج ممكنة لأسباب أمنية؛ فمن ذا الذي ينجزها في المكتب؟ لم يكن ذلك أمراً سهلاً في تلك الأيام، قبل مجيء آلات التصوير بالاستنساخ وفرز الورق. كم عدد النسخ التي يجب طباعتها؟ وكيف تجمَع وترتَّب معاً؟ وكيف يؤمَّن الترقيم الصحيح لكل مجموعة؟ وعندما بدأ الذعر يدب في صفوفنا، ولم يتبق لنا سوى بضعة أيام، أعلن البارون بهدوء أنه سيهتم بكل هذه الأمور. وقد فعل. اشترى كميات كبيرة من القرطاسية ونقل آلات الاستنسل إلى الطبقة العلوية، ورتب الطاولات حول القاعة الكبيرة، وأخذ في تكديس أوراق كل نسخة على حدة، وبقي يعمل من دون كلل أو ملل لمدة يومين وليلتين، ورتب نسخ الشهادة في 100 مجموعة أنيقة، وبقي أمامنا 24 ساعة إضافية. وخلال عام واحد، أو أقل قليلاً، فر مع سعادته، زوجة موسى العلمي، وتزوجها وبقياً معاً حتى اغتاله الفلسطينيون في القاهرة سنة 1971 ثاراً لأيلول الأسود.

\* \* \*

في أيار/مايو، بعد فترة وجيزة من الشهادة أمام اللجنة الأنكلو أميركية، غادر ألبرت القدس متوجهاً إلى لندن ليرئس المكتب العربي هناك. وبعد عام، في حزيران/يونيو 1947، استقال من منصبه خائب الأمل. ويرجع ذلك من جهة إلى تزايد إحباطه جراء التدهور المستمر للوضع الفلسطيني بفعل ضغط ترومان المستمر على لندن، وإلى تفاقم التوتر بين موسى العلمي وخصومه الفلسطينيين من جهة أخرى. فقد تولى الحاج أمين الحسيني بعيد عودته إلى الشرق الأوسط في نيسان/أبريل 1946، قيادة الهيئة العربية العليا، وطالب بشكل قطعي بأن يضع موسى العلمي المكتب العربي والمشروع الإنشائي تحت سلطة الهيئة وأن يسلم أموالهما (53). وعندما رفض موسى ذلك، فتحت الهيئة، بالتنسيق مع الجامعة العربية، مكاتب موازية في لندن ونيويورك وسمتها الممثلات الوحيدة للفلسطينيين (54). وفي كانون الأول/ديسمبر 1947، بعد صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة، بلغ صالح جبر، رئيس الحكومة العراقية في ذلك الوقت، موسى العلمي أن حكومته "ستدفع مصاريفهم حتى نهاية الأسبوع الحالي فقط" (55). وخلال أشهر، أقفل موسى مكتب نيويورك، الذي أغار عليه في تلك الأثناء مكتب التحقيقات الفدرالي بتحريض صهيوني (56). أما مكتب لندن، فقد استغرق تلاشيهِ مدة أطول (57). وفي أعقاب انتهاء حرب فلسطين مباشرة، كتب موسى العلمي عملاً مؤثراً جداً في النقد الذاتي العربي، "عبرة فلسطين"، استناداً إلى تجربة حياته في السياستين الفلسطينية والعربية (58).

وفي هذه الأثناء حث البروفسور المستشرق هاملتون غِبُّ ألبرت حوراني على العودة إلى أكسفورد، وهو ما فعله في أوائل سنة 1948، كزميل باحث في كلية ماغدلين. وفي وقت لاحق من تلك السنة، تقاطع مسارنا ثانية، عندما توجهت إلى أكسفورد (University College) للعمل على أطروحتي عن الصوفية في القرن الثامن عشر في سورية وفلسطين بإشراف غِبُّ. وتوجت حياة ألبرت في أكسفورد بكتابه المرجعي "تاريخ الشعوب العربية". وأنا على يقين من أن موسى بك جسّد صورة "الوجيه" العربي بالنسبة إلى ألبرت، إذ إنه جعله (أي الوجيه العربي المدني) قطب الرحي في سرده تاريخ الحضارة العربية.

وكحاشية أخيرة، أشير إلى أن جذور مؤسسة الدراسات الفلسطينية في فترة تأسيسها (1961 – 1963) ترجع إلى المكتب العربي في القدس. ذلك بأنني وبرهان الدجاني كنا ندرّس في ذلك الوقت في الجامعة الأميركية في بيروت، حيث أصبح الدكتور قسطنطين زريق زميلنا. وعندما أسسنا ثلاثتنا المؤسسة في سنة 1963، كان مثال موسى العلمي ماثلاً أمامنا. فقد آمنّا برويته على الرغم من تصميمنا على عدم تكرار أخطائه من ناحية التبعية □.



## المصادر

- (\*) مؤرخ فلسطيني، وأمين سر مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- (\*\*) ترجمة: عمر الأيوبي.
- (1) أنظر أدناه، ص 16.
- (2) "مذكرات عوني عبد الهادي"، تقديم وتحقيق د. خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 262 وما بعدها.
- (3) Geoffrey Furlonge, Palestine is My Country: The Story of Musa Alami (London: John Murray, 1969), pp. 41.
- (4) Ibid., pp. 72, 86.
- (5) Ibid., p. 99.
- (6) Walid Khalidi, Before their Diaspora: A Photographic History of the Palestinians 1876-1948 (Washington, D.C.: Institute for Palestine Studies, 1984), p. 205.
- (7) Furlonge, op. cit., pp. 99-100.
- (8) Ibid., p. 102.
- (9) Shabtai Teveth, Ben-Gurion and the Palestinian Arabs (New York: Oxford University Press, 1985), pp. 132-134, 137-141, 163.
- (10) Albert Hourani, "Musa 'Alami and the Problem of Palestine, 1933-1949," in Studia Palaestina: Studies in Honour of Constantine K. Zurayk, edited by Hisham Nashabe (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1988), pp. 23 ff.
- (11) Khalidi, op. cit.
- (12) Furlonge, op. cit.
- (13) Hourani, op. cit., p. 30.
- (14) Furlonge, op. cit., p. 128.
- (15) Hourani, op. cit., pp. 31 ff.
- (16) George Kirk, The Middle East in the War (New York: Oxford University Press, 1952), p. 67.

- (17) Ibid., p. 335.
- (18) Ibid., p. 336.
- (19) من أجل الانطباع الذي تكون لدى "مراقب غير رسمي"، هو على الأرجح حوراني نفسه، أنظر، Hourani : op. cit., p. 36.
- (20) للاطلاع على نص كلمة العلمي بالعربية أنظر: بيان نويهض الحوت، "القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، 1917 – 1948" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981)، ص 809 وما بعدها.
- (21) أنظر: Walid Khalidi, ed., From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem Until 1948 (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1971), pp. 303 ff.
- (22) Furlonge, op. cit., p. 137.
- (23) Ibid.
- (24) "مذكرات محمد عزة دروزة: سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمان، 1305 – 1404هـ/1887 – 1984م" (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، المجلد الأول، ص 761. (سنشير إليه فيما يلي بـ: دروزة).
- (25) كان بن – غوريون قرر في وقت مبكر من سنة 1939 استبدال الرعاية الأميركية بالرعاية البريطانية. أنظر:
- Khalidi, ed., From Haven to Conquest, op. cit., pp. 481 ff.
- (26) للاطلاع على المقتبسات التالية من مبادلات ترومان – أتلي، أنظر: Ibid., pp. 557 ff.، المستلة من : Francis Williams, A Prime Minister Remembers (London: Heinemann, 1961), pp. 181-200.
- (27) Allan Bullock, Ernest Bevin (New York and London: W.W. Norton & Co., 1983), p. 50.
- (28) World Almanac 2003, p. 533.
- (29) Bullock, op. cit.
- (30) Ibid.
- (31) Ibid.
- (32) Ibid., p. 174.

- (33) A Survey of Palestine (Jerusalem: Government Printer, 1947), vol. I, p. 82.
- (34) القادة الذين سمح لهم بالعودة هم: عوني عبد الهادي (حزب الاستقلال)؛ د. حسين فخري الخالدي (حزب الإصلاح)؛ يعقوب الغصين (مؤتمر الشباب)؛ عبد اللطيف صلاح (حزب الكتلة الوطنية). كما سُمح بالعودة لأحمد حلمي باشا (مستقل). أمّا راغب النشاشيبي، من حزب الدفاع الوطني وزعيم المعارضين، فلم يكن شخصاً غير مرغوب فيه بالنسبة إلى البريطانيين.
- (35) A Survey of Palestine, op. cit., vol. II, p. 952.
- (36) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص 728 – 730.
- (37) Furlonge, op. cit., pp. 137 ff.
- (38) Ibid.
- (39) الحوت، مصدر سبق ذكره، ص 551.
- (40) دروزة، مصدر سبق ذكره، المجلد الخامس، ص 455، 530.
- (41) "مذكرات عوني عبد الهادي"، مصدر سبق ذكره، ص 289 وما بعدها.
- (42) المصدر نفسه، ص 286.
- (43) دروزة، مصدر سبق ذكره، المجلد الخامس، ص 565؛ "الموسوعة الفلسطينية"، القسم العام (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، المجلد الثاني، ص 22؛ الحوت، مصدر سبق ذكره، ص 899.
- (44) "مذكرات عوني عبد الهادي"، مصدر سبق ذكره، ص 286.
- (45) المصدر نفسه.
- (46) Martin Jones, Failure in Palestine: British and United States Policy after the Second World War (London: Mansell, 1986), p. 71.
- (47) Report of the AAC of Enquiry (London: His Majesty's Stationery Office, cmd 6808, 1946), p. 80.
- (48) Jones, op. cit.
- (49) Ibid., pp. 78 ff.
- (50) Meron Benvenisti, Jerusalem: The Torn City (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1976), p. 105.

- (51) نُشر النص الكامل لهذا العرض العام، من دون ذكر المؤلف، تحت عنوان *The Future of Palestine* ، وهو من إعداد المكتب العربي في لندن، وتمت طباعته في جنيف في آب/أغسطس 1947. وقد أعيدت طباعته بالعنوان نفسه سنة 1970، لكن مع مقدمة لموسى العلمي، وذلك من جانب Hermon Press في بيروت.
- (52) ثلاثة من هذه الملاحق، وضمنها واحد من إعدادي *“Promises and Undertakings in Regard to Palestine”*، ومرة أخرى من دون ذكر المؤلف، تم نشرها في: *The Future of Palestine*.
- (53) دروزة، مصدر سبق ذكره، المجلد الأول، ص 761.
- (54) Furlonge, op. cit., p. 151.
- (55) Ibid.
- (56) Ibid., pp. 145 & 151.
- (57) Ibid.
- (58) ترجم سيسل حوراني هذا العمل إلى الإنكليزية ملخصاً تحت عنوان *“The Lesson of Palestine”* ، ونُشر: في *Middle East Journal* 3 (1949), pp. 373 ff.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)